سعيُ الموفَّق في طلب بركة الرزق

2023-09-08

الحمد لله الغنيّ الوهاب، الكريم التوّاب، لا تغيظه نفقة بإعطاء، ولا تلحقه فاقة بإسداء؛ فلله خزائن السماوات والأرض، و يدُ اللهِ ملْأَى، لا يُغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سحَّاءُ اللَّيْلَ و النهارَ، أرأيتم ما أنفقَ منذُ خلَقَ السماواتِ و الأرضِ؟ فإِنَّهُ لم يَغِضْ ما في يدِهِ، ولو أنّ العباد أوّلَهم وآخِرَهم، وإنسَهم وجِنَّهم قاموا في صعيدٍ واحدٍ. فسألوه. فأعطى كلَّ واحدٍ منهم مسألتَه، ما نقص ذلك من مُلكه إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، بِيَدِهِ الخَلْقُ وَعَلَيْهِ الرِزْقُ، سُبْحَانَه خَلَقَ الخَلْقَ وَأَحْصَاهُمْ عَدَدًا، وَتَكَفَّلَ بِأَرزَاقِهِم فَلَمْ يَنْسَ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وصفيّه من خلقه وخليله، دَعَانَا إِلَى الخَيْرِ وَالهُدَى، وَبَيَّنَ لَنَا الطَّرِيقَةَ المُثْلَى، وحثّنا على العمل وكسبِ الأرزاق، وقال: ((وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى)).

نَبِيٌّ عَلَى كُلِّ النَّبِيِّينَ فُضِّلاَ * حَيِيٌّ بَهِيٌّ طَيِّبٌ مُتَأَرِّجٌ

جَلِيلٌ عَظِيمُ الْخُلْقِ بِالْعَفْوِ آخِذٌ * لَهُ الْحِلْمُ شَأْنٌ وَالسَّمَاحَةُ مَنْهَجُ

جَوَادٌ إِذَا أَعْطَاكَ أَغْنَاكَ جُودُهُ * بِحَارُ النَّدَى مِنْ كَفِّهِ تَتَمَوَّجُ

جَزِيلُ الْعَطَايَا لاَ يَخَافُ افْتِقَارَهُ * إِلَيْهِ كُنُوزُ الأَرْضِ لَوْ شَاءَ تَخْرُجُ

جَوَادٌ عَلَى كَرِّ الْجَدِيدَيْنِ جُودُهُ * إِلَى جُودِهِ تُحْدَى الْمَطَايَا وَتُزْعَجُ

جَعَلْنَا إِلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ احْتِيَاجَنَا * وَنَحْنُ إِلَيْهِ فِي الْقِيَامَةِ أَحْوَجُ

شَفِيعُ الْوَرَى لَمْ يَخْلُقِ اللهُ شِبْهَهُ * وَمَنْ ذَا لَهُ عَنْ جَاهِ أَحْمَدَ مَخْرَجُ

مُحَمَّدٌ الْمُخْتَارُ جَلَّتْ سُعُودُهُ * وَأَرْجُوهُ فِي الدَّارَيْنِ هَمِّي يُفَرِّجُ

جَزَى اللهُ عَنَّا أَحْمَدَ خَيْرَ مَا جَزَى * فَمُذْ جَاءَنَا بِالْحَقِّ فَالْحَقُّ أَبْلَجُ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. الجامع لأشتات المحاسن ومكارم الأخلاق. وعلى آله المنتخَبين من أطيب العناصر ونفائس الأعراق. وصحابته الذين كانوا في المسارعة إلى الخيرات من السُّبّاق، فكانوا يُنفقون ممّا يحبّون، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ توكّلا على الملك الرزّاق. صلاة تنفّس بها عنّا الخناق. وتفتح لنا بها الأغلاق. وتدرّ بها علينا سحائب الأرزاق. وتكفينا بها نكبات الدهر وشرّ الإملاق. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنَّ كَسْبَ القُوتِ وَالسَّعْيَ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ مِمَّا فَطَرَ اَللهُ عَلَيْهِ مَخْلُوقَاتِهِ، فَمَعَ كُلِّ صَبَاحٍ تَرَى الخَلاَئِقَ تَسْعَى، كُلٌّ يَبْحَثُ عَنْ رِزْقٍ كُتِبَ لَهُ، أَو يُبَاشِرُ مِهْنَةً احْتَرَفَهَا، أَوْ يُنَمِّي مَالاً تَمَلَّكَهُ، وَهَذَا حَالُ سَائِرِ المَخلُوقَاتِ فِي كُلِّ يَومٍ يَتَنَفَّسُ صُبْحُهُ بِاَلْحَيَاةِ؛ فَطُوبَى لِمَنْ عَمَرَ حَيَاتَهُ بِالعَمَلِ، وَمَسَحَ عَرَقَ جَبِينِهِ لِيُرْوِيَ بِهِ بُذُورَ الأَمَلِ، مُتَوَكِّلاً عَلَى اَللهِ فِي طَلَبِ رِزقِهِ، مُتَعَرِّضًا بِذَلِكَ لِتَوفِيقِ اللهِ وَبَرَكَتِهِ، فَهُوَ القَائِلُ في سورة الطلاق: ((وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا))، فَمَا أَحْوَجَ العَبدَ إِلَى التَّوَكُّلِ لِيَعْمَلَ عَلَى أَسَاسِهِ، مُتَمَسِّكًا بِمَعُونَتِهِ تَعَالَى، وَمُطْمَئِنًّا إِلَى كَفَالَتِهِ سُبْحَانَهُ حِينَ قَالَ في سورة الذاريات: ((وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ)). أيّها المسلمون. لَقَد تَطَوَّرَتْ حَيَاةُ النَّاسِ فِي عَصْرِنَا هَذَا تَطَوُّرًا اخْتَلَفَتْ مَعَهُ مُتَطَلَّبَاتُهَا، وَتَعَدَّدَتْ حَاجَاتُهَا، وَتَغَيَّرَ مَا كَانَ بِالأَمْسِ كَمَالِيًّا، وَصَارَ فِي يَوْمِنَا ضَرُورِيًّا، وَغَدَا بَعْضُ النَّاسِ مَحْصُورًا بَيْنَ هُمُوْمِ الإِنْفَاقِ، فَسَيْطَرَ عَلَيْهِ القَلَقُ وَاعْتَرَاهُ الإِعْيَاءُ، وَخَيَّمَ عَلَيْهِ الْبُؤْسُ وَالعَنَاءُ، وَمَا كَانَ اللهُ لِيَخْلُقَ خَلْقًا بَلا رِزقٍ، وَلَكِنَّهُمْ تَنَكَّبُوا الصِّرَاطَ أَو تَجَاهَلُوهُ، فَتَرَكُوا العَمَلَ وَأَهْمَلُوهُ، وَأَعْرَضُوا عَنْ مُوجِبَاتِ البَرَكَةِ فِي مَعِيشَتِهِم، وَلَو رَجَعُوا إِلَى كِتَابِ رَبِّهِمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ صلى الله عليه وسلم لَوَجَدُوا العِلاجَ وَالشِّفَاءَ، وَأَوَّلُهَا جَمِيعًا التَّقْوَى، فَهِيَ تُكْسِبُ المَرْءَ مَعِيَّةَ اللهِ وَمَعُونَتَهُ، فَتُدِرُّ عَلَيْهِ اَلأَرزَاقَ حَتَّى تَأْتِيَهِ بِلا تَوَقُّعٍ. وَتَنْزِلَ عَلَيْهِ بِلا حِسَابٍ، قَالَ تَعَالَى في سورة الطلاق: ((وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ

يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ))، وَقَالَ جَلَّ وَعَلا في سورة : ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ))؛ فَمَعَ الطَّاعَةِ وَالإستِقَامَةِ وَالتَّقْوَى تَكُونُ بَرَكَةُ الرِّزقِ، وَلَيْسَ مِنَ العَقْلِ فِي شَيءٍ أَنْ يَعْصِيَ الفَرْدُ خَالِقَهُ وَرَازِقَهُ، ثُمَّ يَطْمَعَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُبَارِكَ لَهُ فِي رِزقِهِ، أَوْ أَنْ يُوَسِّعَ لَهُ فِيهِ. أيّها المسلمون. إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ صُوَرِ اَلتَّقْوِى اَلَّتِي تُيَسِّرُ الرِّزْقَ وَتُبَارِكُهُ صِلَةَ اَلرَّحِمِ، وَهِيَ خُلُقٌ رَفِيعٌ مِنْ أَخْلاقِ الإِسْلامِ تَمَثَّلَهُ رَسُولُنَا صلى الله عليه وسلم فِي أَرْوَعِ الصُّوَرِ. فَقَالَ كما في الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه عن أُمّ المؤمنين السيّدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُم لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُم لأَهْلِي))، وَبَيَّنَ لأُمَّتِهِ أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ لَهَا فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا البَرَكَةُ فِي المَالِ وَالعُمُرِ، فَقَالَ في الحديث الصحيح المتّفق عليه. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَنْ أَحَبَّ مِنْكُم أَنْ يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ وأنْ يُنْسَأَ لهُ في أَثَرِهْ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))، فَاحْرِصُوا رَحِمَكُمُ اللهُ عَلَى صِلَةِ أَرْحَامِكُمْ؛ يُبارِكِ اللهُ في أَعْمَارِكُمْ وَأَرْزَاقِكُمْ، فمَنْ وَصَلَهُمْ وَصَلَهُ اللهُ وَبَارَكَ لَهُ فِي رِزقِهِ، وَوَسَّعَ لَهُ فِي عَيْشِهِ، أَلاَ وَاعلَمُوا أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ البَرَكَةِ الإِنْفَاقَ عَلَى الفُقَرَاءِ وَالمُحتَاجِينَ، فمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مَهْمُومٍ فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ، فَفَرِّجُوا يا عِبَادَ اللهِ كُرُبَاتِ المُحتَاجِينَ، وَامسَحُوا بِالصَّدَقَةِ دَمْعَةَ اليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ، فَإِنَّ الصَّدَقَةَ سَبَبٌ لِنَمَاءِ المَالِ وَزِيَادَتِهِ، فَقَدْ روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ))، فَكَمْ لِلصَّدَقَةِ مِنْ فَضْلٍ، وَكَمْ جَلَبَتْ مِنْ نِعَمٍ وَدَفَعَتْ مِنْ نِقَمٍ، وَتَسَبَّبَتْ فِي دَعْوَةٍ مُستَجَابَةٍ مِنْ قُلُوبٍ صَادِقَةٍ، قال تعالى في سورة البقرة: ((وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ)). أيّها المسلمون. إنَّ طَالِبَ الرِّزقِ الصَّادِقَ فِي طَلَبِهِ

شَخْصٌ تَحَلَّى بِالَجِدِّ وَالعملِ، وَنَبَذَ الخُمُولَ وَالكَسَلَ، فَإِنَّ السَّمَاءَ لا تُمْطِرُ ذَهَبًا وَلا فِضَّةً، ومَنْ سَلَكَ جَادًّا فِي طَلَبِ الرِّزقِ بِالعَمَلِ، وَفَّقَهُ اللهُ وَبَارَكَ سَعْيَهُ بِبُلُوغِ الأَمَلِ، أَلَمْ تَرَوا كَيفَ أَوْحَى اللهُ إِلَى السيّدة مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلامُ وَهِيَ فِي أَصْعَبِ أَحْوَالِهَا بِقَولِهِ: ((وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا))، وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَحْنَى لَهَا الجِذْعَ دُونَ هَزٍّ، بَلْ لَوْ شَاءَ لأَذَاقَهَا حَلاوَةَ الرُّطَبِ دُونَ سَبَبٍ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى يُعَلِّمُ عِبَادَهُ مَا يُصْلِحُ أَمْرَهُمْ وَيُقَوِّمُ شَأْنَهُمْ، فَيَا أَيُّهَا الشَّبَابُ: أَنْتُمْ ذُخْرُ الأُمَّةِ وَعِمَادُهَا، بِكُمْ يَقُومُ أَمْرُهَا وَيَعْلُو شَأْنُهَا، فَتَوَكَّلُوا عَلَى اللهِ في أَعمَالِكُمْ، وَسِيرُوا عَلَى بَرَكَتِهِ، كما قال تعالى في سورة التوبة: ((وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ))، وَاعلَمُوا أَنَّ المُبَادَرَةَ إِلَى العَمَلِ فِي وَقْتِهِ، وَالمُوَاظَبَةَ عَلَيْهِ مِنْ بِدَايَتِهِ إِلَى نِهَايَتِهِ، سِرٌّ تَكْمُنُ فِيهِ البَرَكَةُ، روى أبو داود، والترمذي وحسّنه، وابن ماجه، وأحمد، عن صخر بن وداعة الغامدي رضي الله عنه عن النبي صلى عليه وسلم قال: ((اللهمَّ بارِكْ لأُمَّتِي في بُكورِها)). أيّها المسلمون. إنَّ الرِّزقَ قِسمَةٌ مِنَ اللهِ، لا يَأْتِي بِقُوَّةٍ وَبَطْشٍ، وَلا بِفِطْنَةٍ وَحِيلَةٍ، إِنَّمَا قِسْمَةُ الأَرزَاقِ يُدِيرُهَا اللهُ تَعَالَى بِحِكْمَةٍ قَدْ لا يَعْلَمُهَا البَشَرُ، وَهُوَ القَائِلُ سُبْحَانَهُ كما في سورة الزخرف: ((نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ))، وَاعلَمُوا رحمكم الله أَنَّ مَدَارَ المَنْفَعَةِ فِي الرِّزقِ لَيْسَ فِي كَثْرَتِهِ، وَإِنَّمَا فِي بَرَكَتِهِ، فَهُنَاكَ مَنْ دَخْلُهُ الآلافُ، غَيْرَ أَنَّ عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ الأَضْعَافَ، وَهُنَاكَ مَنْ هُوَ قَلِيلٌ دَخْلُهُ، لَكِنَّهُ بَنَى بَيْتًا وَكَوَّنَ أُسْرَةً وَلَبَّى حَاجَاتِ عِيَالِهِ الضَّرُورِيَّةَ، وَهُنَاكَ مَنْ رُزِقَ مِنَ الوَلَدِ الكَثِيرَ لَكِنَّهُمْ بِلا بَرَكَةٍ، هُمْ وَبَالٌ عَلَى وَالِدِهِمْ وَشَقَاءٌ، وَهَكَذَا تَكُونُ البَرَكَةُ هِيَ مَدَارَ المَنْفَعَةِ مِنَ الرِّزقِ. أيّها المسلمون. إِنَّ مِنْ شَأْنِ المُؤْمِنِ الحَقِّ أَنَّهُ يَلْجَأُ إِلَى اللهِ بَعْدَ أَنْ يَأْخُذَ بِأَسْبَابِ النَّجَاحِ، لِيُبَارِكَ اللهُ لَهُ فِي رِزقِهِ، هَكَذَا كَانَ الصَّالِحُونَ وَفِي مُقَدِّمَتِهِمُ الأَنبِيَاءُ وَالمُرسَلُونَ، فَهَذَا أَبُو الأَنبِيَاءِ سيّدنا إِبرَاهِيمُ عَلَيْهِ

الصَّلاةُ وَالسَّلامُ عِنْدَمَا تَرَكَ ذُرِّيَّـتَهُ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ، لَجَأَ إِلَى اللهِ أَنْ يُبَارِكَ فِي أَرْضِهِمْ، وَأَنْ يُكْثِرَ خَيْرَهُمْ مِنْ وَادِيهِمْ، فَقَالَ كما في سورة إبراهيم: ((رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ))، فَاستَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ، إِنَّهُ سِرُّ الدُّعَاءِ الخَالِصِ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لِذَلِكَ تَجِدُ المُؤْمِنَ لا يَقْصِدُ بِالسُّؤَالِ إِلاَّ اللهَ، فَلا يَتَذَلَّلُ أَمَامَ عَتَبَاتِ بُيُوتِ الأَغْنِيَاءِ، وَلا يُرِيقُ مَاءَ وَجْهِهِ بِالسُّؤَالِ، لأَنَّهُ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ اللهَ هُوَ وَحْدَهُ الرَّازِقُ لا سِوَاهُ، وَأَنَّ البَشَرَ جُمُوعًا وَأَفْرَادًا إِنَّمَا هُمْ بَشَرٌ، فَيَكُونُ المُؤْمِنُ بِذَلِكَ عَزِيزًا كَرِيمَ النَّفْسِ رَافِعَ الرَّأْسِ، وَلا يَتَأَلَّمُ لِشَيْءٍ فَاتَهُ مِنْ حُظُوظِ الدُّنيَا، لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي يَمْنَعُ وَيُعْطِي هُوَ اللهُ، وَهُوَ حَكِيمٌ فِي كُلِّ تَصَرُّفَاتِهِ، رَحِيمٌ فِي كُلِّ أَفْعَالِهِ. فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ ، ولا تحزن يا عبد الله إذا لم يصبك شيء من متاع الدنيا، فإنّ الله يُعطي الدنيا مَن يحب ومَن لا يحب، ولا يُعطي الآخرة إلا مَن يحب، وليكن لسان حالك الحمد لله على كل حال، روى الترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ)). اللهم بارك لنا فيما أعطيت، اللهم لا تجعل الدنيا أكبرَ همّنا. ولا مبلغَ علمِنا. ولا إلى النار مصيرنا. اللهم بارك لنا فيما رزقتنا. واجعله عونا لنا على طاعتك. اللهُمَّ فَرِّجْ هَمَّ المَهْمومين، ونَفِّسْ كَرْبَ المَكْروبين واقْضِ الدَّيْنَ عنِ المَدينين، واشْفِ مَرْضَى المسلِمين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين. اهـ